



ISSN:0258-1086

مدلول الفضاء وعلاقته بالحرية في شعر الصعاليك "دراسة سيميائية"

أ.م.د. سندس قاسم عبدالله (*)

الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية، بغداد، العراق

(*) الكاتب المسؤول: sundus.q.abdulla@aliraqia.edu.iq

الملخص

الأهداف: سعى هذا البحث لاستكشاف سبل تعامل الشعراء الصعاليك مع مضمون الحرية، فوجد أن المعادل الموضوعي لهذا المضمون في شعرهم يكمن في استعمالهم للألفاظ والعبارات التي تدلُّ على الفضاء ومرادفاته، كالصحراء والأفق والسماء والجبال والأودية، وما إلى ذلك من الأماكن التي تشير إلى انفتاح الأفق، مما يمكن الصعلوك من الانطلاق في الأرض الواسعة بعيداً عن القيود.

المنهجية: اعتمدت هذه الدراسة على التحليل السيميائي .

النتائج: وجد البحث أن الفضاء في شعر الصعاليك يكسب أبعاداً تخيلية متنوعة، كما يكسب أبعاداً فلسفية ونفسية واجتماعية، لا تنحصر في الدلالة الجغرافية، إذ إن غاية هذه الاستعمالات تصبُّ في دلالة الحرية. وبناء على ذلك ارتأى أن يدرس مدلولات الفضاء متخذاً من بعض متطلبات المنهج السيميائي سبيلاً للوصول إلى هذه الغاية، مع التنبيه إلى أن البحث لم يتقيد بقواعد المنهج بحذافيره، وإنما كان ذلك على سبيل المقاربات في موضوع محدد هو موضوع الفضاء.

الخلاصة: فزاوية النظر التي اتخذتها الدراسة تتركز على فكرة التمرد، ولاشك في أن الشاعر روح وإحساس ومشاعر وعاطفة واستشراق لما وراء الواقع، ومن هنا يكون المعنى بالدراسة هو الشعر والروح الشاعرة لا شخص الشاعر، وصولاً إلى النقطة التي تتلاقى فيها مدلولات الفضاء مع مضمون الحرية.

الكلمات المفتاحية: شعر الصعاليك - الفضاء - الحرية - التحليل السيميائي - الموت والحياة

تأريخ النشر: ١-٦-٢٠٢٦

تأريخ القبول: ٢٧-١٠-٢٠٢٥

تأريخ الاستلام: ٩-٩-٢٠٢٥

The meaning of space and its relationship to freedom in the poetry of the
vagabonds: a semiotic study

Researcher: Asst. Prof. Dr. Sundus Qasim Abdullah (*)

University of Iraq / College of Islamic Sciences / Department of Arabic Language, Baghdad, Iraq



(* Corresponding author: sundus.q.abdullha@aliraqia.edu.iq

Abstract

Research Goals: This study seeks to explore the ways in which vagabond poets deal with the concept of freedom. It found that the objective equivalent of this concept in their poetry lies in their use of words and phrases that denote space and its synonyms, such as desert, horizon, sky, mountains, valleys, and other places that indicate an open horizon, enabling the vagabond to roam the vast land, free from restrictions.

Research Conclusion: This study found that space in vagabond poetry acquires diverse imaginative dimensions, as well as philosophical, psychological, and social dimensions, not limited to geographical significance, as the purpose of these uses is to convey the meaning of freedom. Accordingly, it studies and highlights the connotations of space, adopting some of the requirements of the semiotic approach as a means to achieve this goal. It should be noted that the study did not adhere strictly to the rules of the approach, but rather was merely an approach to a specific topic, which is space.

Research Summary: The perspective adopted by the study focuses on the idea of rebellion. There is no doubt that the poet is a spirit, a feeling, emotions, a passion, and a vision of what lies beyond reality. Hence, the focus of the study is poetry and the poetic spirit, not the poet himself, arriving at the point where the connotations of space intersect with the content of freedom.

Keywords: vagabond poetry – space – freedom – semiotic analysis Death and . Life.

Received: 9-9-2025

Accepted: 27-10-2025

Published: 1-6-2026

المقدمة

لاشكَّ في أنَّ لمدلولات (فضاء) ومترادفاته قيمةً عليا في الشعر عموماً، وفي الشعر الجاهلي خصوصاً، وبصورةٍ أخصُّ شعر الصعاليك، فمن يتتبع هذا الشعر يجد أنَّ تلك المدلولات تمثِّلُ بنيةً أساس من بنياته الفنية، سواء أكان ذلك باللفظ الصريح للفضاء، أو بالمرادفات التي توحى به. ذلك أنَّ الفضاء مفهوم يمكن له أن يكون رمزاً لتوق الإنسان إلى الحرية تشبيهاً بالطائر الذي يتشبث بجناحيه من أجل بلوغ حريته .



وبما أنّ هذه الشريحة من الشعراء كانت تعاني من نير العبودية تحت سلطة القبيلة من السادة والأمراء، فإنّ أسمى ما تفكّر به هو الحرية، وإنّ قيمة الفضاء بالنسبة لها كانت هي المعادل الموضوعي لقيمة الحرية . ولذلك فقد عبر الشعراء عن الفضاء في مضامين كثيرة من شعرهم، ولعلّ الدراسة السيميائية هي الأقدر على كشف تلك الثيمة، ومن هنا يأتي بحثنا هذا متخذاً من مقتربات المنهج السيميائي سبيلاً للكشف عن بعض المضامين الشعرية التي تدلّ على الفضاء .

أولاً : المقاربات السيميائية

سيميائية الفضاء

أ - السيميائية

يعدّ المنهج السيميائي من المناهج التي برزت في مرحلة ما بعد البنيوية. وسمي بالمنهج السيميولوجي، وإنّ كان تاريخياً يبدأ مع البنيوية تقريباً (فضل، ٢٠٠٢م، صفحة ١١٥)، ومن تعريفاتها أنّها كل ما يمكن اعتباره إشارة ، وتتضمن ليس فقط ما نسميه في الخطاب اليومي : (إشارات)، ولكن كلّ شيء ينوب عن شيء آخر . وفي المنظور السيميائي، وتأخذ الإشارات شكل كلمات وصور وأصوات وإيماءات وأشياء، ولا يدرس السيميائيون المعاصرون الإشارات مفردة ؛ لكنهم يدرسونها بوصفها جزءاً من منظومات إشارات (فضل، ٢٠٠٢م، صفحة ١١٥ص).

إنّ المنهج السيميائي هو المنظومة التقنية التي يسترشد بها القارئ للنفوذ إلى اعماق النص بوصف النص عملية إبداعية ، والإبداع عملية جمالية ، والجمال حالة تعترى المتلقي على اختلاف أصنافه ، وبذلك تسعى إلى استخراج مكونات النص من خلال التكيف والتركيب ، وتحديد البنيات العميقة الثابتة ما وراء البنيات السطحية المتمظهرة صوتياً ودلاليّاً، فهي تسعى إلى استكشاف مولدات النصوص ومكوناتها البنيوية الداخلية، وتبحث عن أسباب التعدد والمعاني المتولدة من الخطابات، وتسعى إلى اكتشاف البنيات العميقة ، والأسس الجوهرية المنطقية التي تكونت وراء سبب اختلاف النصوص والجمال، فهي تمر عبر الأشكال لمساءلة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى (شقروش، ٢٠١٠م، صفحة ١٥) ان فهي " علم يهتم بالدلالات وأشكالها وتداولها ، ويرصد تشكل الأنساق الدلالية ، ونمط إنتاجها، وطرق اشتغالها (عيدان، ٢٠١٧م، صفحة ١٣٩) "

وقد " احتلت السيموطيقا ، أو السيميولوجيا مكانة هامة ضمن المناهج النقدية ، وعدت منهجاً علمياً وإجرائياً في الدراسات الأدبية وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولى" (عبيد، السيميائيات أو نظرية العلامات، دت، صفحة ٧)

إنّ شفرات النص هي المفتاح الذي يفتح أبواب ذلك النص وصولاً إلى مرحلة تأويله وفتح آفاق معانيه ، فالمعنى هو الغاية النهائية لكل تركيب ، والتركيب هو الذي الذي تتجلى فيه الخبرات والبراعات ، وصولاً



ISSN:0258-1086

إلى استشراف تجربة المعنى ، وفكرة المنهج السيميائي هي التي تمضي بالشفرة إلى حيث تتمكن من تمثيل التجربة وتشفيرها ، وتدرج على مستويات متداخلة تداخلاً دينامياً، هي:
- المستوى النظري.

- المستوى الإجرائي.

- المستوى التداولي (عبيد، الفضاء الشعري الأدونيسي ، سيمياء الدال وابتكار مفاتيح المعنى ، ٢٠١٢م، صفحة ١٦) ف"استقصاء المنهج عند الفاعل القرائي لا تتم إلا من خلال متابعة مراحل التطور القرائي الذي ينجزه من قراءة إلى أخرى ، ويرصد التحولات والإضافات التي تحصل في الرؤية، وهي تتضاعف وتتمو وتتجدد وتحصل على مساحات جديدة لحراكها الميداني (عبيد، الفضاء الشعري الأدونيسي ، سيمياء الدال وابتكار مفاتيح المعنى ، ٢٠١٢م، صفحة ١٦).

وتحتل السيميائيات في المشهد الفكري المعاصر مكانة مميزة، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية، حيث تستمد أصولها ومبادئها من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية: كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا، ومن هذه الحقول استمدت السيميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها، كما أن موضوعها غير محدد في مجال بعينه، فالسيميائيات تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني؛ أي إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطبوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى (بنكراد، ٢٠١٣م، صفحة ٢٥)، فهي لا تتفرد بموضوع خاص بها؛ بل تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية، شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءاً من سيرورة دلالية فالموضوعات المعزولة، أي تلك الموجودة خارج نسيج السيميوزس (سيرورة التأويل)، لا يمكن أن تشكل منطلقاً لفهم الذات الإنسانية أو قول شيء عنها، فليس بمقدورنا أن نتحدث عن سلوك سيميائي إلا إذا نظرنا إلى سيرورتها الدلالية .

ب - الفضاء

لاشك في أنّ ثيمة الفضاء تقوم بوظيفة مهمة في تشكيل الأعمال الأدبية القديمة والحديثة على حدّ سواء ، فالفضاء هو البنية الأساسية في كلّ عمل أدبي ، لأنّ الأدب الإنساني بحدّ ذاته هو المثال الحي للثوق إلى الحرية . ويعدّ مكوناً أساساً في الآلة الحكائية، وهو يمثل ذلك العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات، والأشياء والأفعال، ويقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء، بل يمكن القول: إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعله مع الفضاء أساساً (عبدالله، ٢٠٢١م).

والفضاء في اللغة: فضا المكان وأفضى، إذ اتسع وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله أنه

صار في فرجته وفضاه وحيزه" (منظور، ١٤١٤هـ ، صفحة ٢٠٩).

والحديث هنا عن الفضاء الجغرافي (المكان) ذي الأبعاد الهندسية المعروفة، غير أنّ الفضاء له



دلالات مجازية تتعدى حدود المفهوم الجغرافي كما سنرى لاحقاً.

الفضاء في الاصطلاح: تناول الفكر الإنساني ظاهرة الفضاء وأدرك أثرها في حياته ودورها الفاعل في رسم العلاقة بينه وبين العالم المحيط به، وهذا ما نبّه إليه الباحث غراهام كلارك في كتابه: الفضاء والزمن والإنسان، إذ أشار إلى أنه يهدف إلى إظهار كيف حقق البشر إنسانياتهم من ناحية عن طريق إحراز وإدراك أكمل لمكاناتهم الخاصة في الزمن والفضاء" (كلارك، ٢٠٠٤م، صفحة ٧)، وقد ظل هذا المفهوم يتطور تاريخياً في بعده الميثولوجي والفلسفي، مسائراً التحديدات المختلفة الاستعمال، فحظي بعناية كبيرة من لدن الفلاسفة، باعتباره وسطاً مثالياً، بخارجيته، أو خارجية أقسامه دون الخوض في أقسامه الداخلية التي تكون في كثير من الأحيان مشكّلة لأقسامه الخارجية، فيعرف "بالوسط المثالي الذي يتجسد بخارجية أقسامه، وفيه تتمركز مدركاتنا الحسية، وهو يحتوي لذلك، كل الامتدادات النهائية" (مرتاض، ٢٠١٠م، صفحة ٢٨٩).

ومما سبق نفهم أنّ مفهوم (فضاء) لا يتعلق بالأمكنة قدر تعلقه بالانفتاح والانعقاد من قيود المكان، فقد أضحى مفهوماً متداولاً في التفكير الأدبي، وركناً أساسياً في الكتابات والإبداعات الفنية. وهذا ما أوضحتها الدراسات الفلسفية الحديثة للفضاء فشارل ساندرس بورس يعدّ أول من حدد مصطلح الفضاء وبدقة، من خلال المرتبة الأيقونية للعلامة، منطلقاً من فلسفة كانت والمنطق الأرسطي، فكان أول تعريف نظري صارم، مضبوط لعلم تواصل غير لغوي" (شقروش، ٢٠١٠م، صفحة ١٩٩)، مهتماً بالجانب البصري وفعاليتيه التعبيرية التواصلية، ولعل أوضح توجيه في هذا الباب هو الذي تقدمه نظرية الأشكال أو سيكولوجية الأشكال. ومن الدراسات الحديثة دراسة غاستون باشلارفي كتابه: شعرية الفضاء حيث أجمل رؤياه في هذا الكتاب بأن الإنسان دون الفضاء يصبح كائناً مفتتاً لا استقرار له (باشلار، ١٩٨٧م، صفحة ٤٥).

لقد اتضحت معالم الحيز الذي يشغله الفضاء في توق الإنسان إلى الحرية منذ وجوده. ومن ثم فإن مفهوم الفضاء يتحدد تبعاً لطبيعة الدراسات ومنهجها، وقد أدى تركيز الباحثين الفرنسيين على مصطلح الفضاء تنظيراً وممارسة إلى تطوره وذيوعه، سواء بين أوساط الباحثين وفي جلبة لفضول المهتمين والقراء (الأحمر، ٢٠١٠م، صفحة ١٢٤).

يرى (كورتيس)، بأن الفضاء يستعمل في معان مختلفة، وما يجمعهما هو الشيء المبني يحتوي على عناصر متمفصلة، يتوفر على عنصر الامتداد، وهو بعد كامل ممتلئ، كما يمكن ان ينصرف هذا المفهوم إلى المنحى الهندسي المعماري، وإلى سيكولوجية الوظيفة، وإلى المنحى النفسي الفيزيولوجي. ومنه يصبح مفهوم الفضاء عنده وعند غريماس ذا خصائص مرئية لأنه يدخل في الهندسة المعمارية، إلا أن موضوع الفضاء في تحليل الخطاب تراعى فيه من الناحية النفسية، والفيزيولوجية وكذا الناحية الثقافية الاجتماعية، فإذا أضفنا جميع الاستعمالات الاستعارية لهذه الكلمة، نجد أن استعمال مصطلح الفضاء يتطلب حذراً شديداً من لدن السيميائيين، وهذا راجع إلى كون مفهوم الفضاء يتميز بشاعته الدلالية والرمزية والاستعارية والجمالية، ولا بد



أمن ن تتوافر لتشغيله طاقة خصبة من التعدد المعرفي بدءاً من التاريخ، وصولاً إلى الفنون التشكيلية، وعلى هذا الأساس تمّ تحديد مفهوم الفضاء من المرتبة الأيقونية للعلامة، ومن هذا المنطلق تعددت مجالات اشتغالات السيميوطيقا في الحقل البصري ذاته" (شقروش، ٢٠١٠م، صفحة ١٩٩)، متراوحة بين المعطيات البصرية الثابتة والمتحركة واللغوية.

ثانياً : الفضاء في شعر الصعاليك

أ - الفضاء المادي

ينبغي التنبيه ابتداءً إلى أنّ المسوغ المنهجي الذي اقتضى عدّ الفضاء ثيمة في شعر الصعاليك يرتكز إلى أمرين:

- البيئة الصحراوية وماتمّله من انفتاح الأفق المادي .

- القيود التي يعيشها الصعلوك رغم انفتاح الأفق الجغرافي المتمثّل بالصحراء .

إنّ هذين العاملين من شأنهما أن يتداخلا ليشكّلا توكّلاً للحرية، ظلّ الشاعر الصعوك يسعى لتحقيقها في كلّ سلوكه المادي والنفسي، فالشاعر ينطوي على " نفس إنسانية مرهفة تلك هي الذات الشاعرة التي لا تحتمل كل ما يحيط بها من مؤثرات ، وتحديات ، وقيود ... وإذ ذاك تبدأ رحلة جديدة في الحياة بعد أن قادها التمرد الى نمط جديد من السلوك الإجتماعي ، مثلما انعكس بدوره على مستوى الإبداع الفني " (بنيان، ٢٠١٨م، صفحة ٦٩).

فأمّا من ناحية الفضاء المادي فإنّ الشاعر كان يعيش في أرض جرداء تمتد على مساحات كثيرة ، وقد تنوعت تضاريسها " بين صحراء ، وواحات ، وجبال ، ووديان ، وسواحل ، مع غلبة الطبيعة الصحراوية عليها ، وما ترتب على هذا من تفاوت أسباب ونتائج الخصب أو الجفاف ، ووفرة الإنتاج أو شح الموارد " (صالح، ٢٠١٠م ، صفحة ٥)، فضلاً عن انفتاح الأفق أمامه . كما يمتاز مناخ شبه الجزيرة العربية بشدة الحرارة ، وتكثر فيه رياح السموم في فصل الصيف ، وثمة رياح أخرى هي الرياح الشرقية ، وتسمى بريح الصبا ، أما رياح الشمال فتمتاز بالبرودة ، ولاسيما في جزئها الشرقي ؛ إذ تتحول إلى صقيع ، أما الأمطار فقد تقدم بأنها قليلة بوجه عام إلا في الجزء الجنوبي (ضيف، دت ، صفحة ٢٠).

وهذا عامل آخر من عوامل تشكيل الذات الشاعرة التواقة للتفاعل مع هذا المحيط الجغرافي والمناخ المادي تعاملًا مفتوحاً، وليس مقيداً بقيود العبودية التي يعانيتها الصعلوك.

ومن هنا نستطيع أن نفهم تأثير تلك العوامل في تنشئة النزعات المختلفة؛ لأنّ للتضاد الجغرافي أثراً لا يخفى على نفوس السكان عموماً، فإنه يُنشئ لوناً من التضاد النفسي تصطبغ عناصره بما في البيئة من عدم الإستقرار، وينسحب كذلك على السلوك ، ومن ثمّ يتمظهر بمظاهر مختلفة ، منها المبالغة في التصرفات ، سواء أكانت في سبيل الخير أم في سبيل الشر ، " وكما كانت هذه البيئة الطبيعية عاملاً في وجود الفقر كانت عاملاً



في إحساس الفقراء إحساساً قوياً به حين أوجدت في جوار المناطق المجذبة مناطق خصبة ، مما أشعر أبناء المناطق المجذبة بأن الحياة لم تحرم الناس جميعاً كما حرمتهم ؛ وإنما أغدقت على طائفة من الناس ماء لا ينضب، وكلاً لا يجف وثررة لاتهددها الطبيعة في كل لحظة بالفناء " (خليف، دت، صفحة ٧٥)، وفي خضم هذا الشعور بالحرمان والجوع وعدم المساواة، ومع انفتاح الأفق الجغرافي نشأت نزعة الصلعة، ونشأ شعور التوق إلى الحرية، ونزوع الذات الإنسانية المهمشة الى ضرورة إثبات الذات ، الأمر الذي سوغ امتلاك صفات الشجاعة ، والجرأة ، والشعور بالكبرياء؛ لأن الطبيعة الصحراوية القاسية وانفتاح الفضاء يقتضيان المخاطرة والمغامرة والإعتماد على النفس، وهكذا كانت صفات الصعاليك ، وقد انتشروا في كل موضع من جزيرة العرب، فأصبحوا قوة لا يشق لها غبار؛ وذلك لشدة بأسهم في القتال، ولمعرفتهم بالمسالك والفضاءات ومنافذ الطرق وأسرار البوادي وخفايا النجود والجبال، متخذين من الكهوف والمنحدرات والمستترات المشرفة على الأودية والطرق مواضع رصد، وهذه المواضع تعدُّ الأمكنة الأعلى قيمة فيما يتعلق بحماية حرية الفضاء الجغرافي (علي، ١٩٩٣م ، صفحة ٦٢٠)، كل تلك العوامل جعلت لهم شأنًا في الواقع المعاش ، فضلاً عن شأنهم الأدبي؛ ذلك أنهم يمثلون ذواتاً شعرية لها من الفاعلية والتأثير ما جعلها مثابته شاخصة على مستوى الإبداع الفني فيما يمتلكون من مواهب شعرية لها بصماتها القارة في سلم الموروث الشعري.

ب - الفضاء الشعري

إنَّ توق الشاعر الصعلوك للحرية وشعوره بعدم إمكانية التعايش مع مجتمعه دفعه إلى إيجاد فضائه الخاص، ذلك الفضاء الذي يستطيع من خلاله إيجاد شخصيته الشاعرة، تلك الشخصية التي تبنت الإتجاه الثوري ، فانفتح على طموح تحقيق ذاته بسبب إحساسه بالألم النابع من خلو اليد مقابل امتلائها عند آخرين (سمية، ١٤٣٢هـ ، صفحة ٢٣)، وتكبيله بالقيود مقابل حرية أسياده، والتعبير عن قيم الشجاعة التي كانت تعتمر نفوس أولئك الرجال الأشداء، وقوة شكيמתهم، واستهانتهم بالمخاطر حد الموت وصولاً لتحقيق ذواتهم في فضائهم الأول الذي حاول قذفهم في المجهول فكانت ثورتهم تلك " ضد الفقر والجوع وظلم المجتمع والمسؤولين والأقرباء، وما أجلَّ الموتَ ذوداً عن شرف الحياة وعزة الوجود ؟" (نورالدين، ٢٠١٣م، صفحة ١٠٧)، وكلُّ ذلك تمثل في انطلاقهم في الأرض الواسعة التي تمثل أعلى قيم الحرية المادية.

- فضاء القبيلة وفضاء الشاعر

لاشكَّ في أنَّ دافع الشاعر للانطلاق في الفضاء الواسع، وهو تقييده في فضاء القبيلة، فصراع الصعلوك، هو ذلك الصراع الذي يدور خارج الذات والمتمثل بصراع الذات مع عوامل القهر المادية من إقصاء وتهميش وتقييد، فضلاً عن كونه يمثل صراعاً يدور في الداخل، وهو صراع الذات مع عوامل نفسية تمثل في كينونتها انعكاساً لذلك الصراع الخارجي، ومن هنا فقد نتج في الشعرتموجات الذات الشاعرة بثورة عارمة على الأسياد، وصولاً الى سلوك سبيل الصدام والصراع، فضلاً عن الميل الى ارتياد مسالك الصعاب، سواء أكان



ISSN:0258-1086

ذلك على مستوى العيش عموماً، أو الطعام والشراب، فضلاً عن تفضيله كنف الطبيعة الصعبة والصحراء المفتوحة، فعلى الرغم من نشأة الصعاليك في أماكن قريبة من الخصب؛ إلا أنهم كانوا يأفون الجبال، والقفار، والأماكن التي يخشى غيرهم ارتيادها، وهذا خير دليل على ثيمة الفضاء في أنفسهم، وفي ذلك يقول الشنفرى (يعقوب، ١٩٩٦م.):

ويومٌ من الشعرى يذوبُ لوابئهِ أفاعيه في رمضائه تتلملُ

فالشاعر يصف في هذا البيت شدة الحر والهجرة، وطبيعة الرمضاء التي يهرب من وقعها سائر البشر؛ غير أنه يألفها ويفضلها على نعيم المساكن بين الجدران وتحت السقوف، لما تمثله الأولى من حرية، وماتمته الأخرى من قيود.

وفي المضمون ذاته، يذكر تأبط شراً الأماكن الوحشية الموغلة في الوحشة والامتاع، فيتحدث عن موضع كان يخافه العرب؛ لاعتقاده بوجود الوحش فيه، وأنه لا يهاب الوحش، ولا يخاف المكوث بالقرب منها؛ بل يألفها وكأنها خصوم، ومن ثم يبارزها بكل رباطة جأش، ويصرعها كما يصرع الفارس، وكل ذلك يمثل مصدر فخر له على أبناء قبيلته وفتيانها الذين خذلوه ذات يوم، فكأنه صار يعيرهم بسبب خوفهم من الأماكن التي لا يخشى هو ارتيادها، وفي ذلك تلويح لهم بأنهم خسروا بطلاً ومقاتلاً صنديداً كان عليهم أن يتقربوا منه لا أن يبعده، ويخذلوه، ويقصروا في نصرته؛ إذ يقول (المصطاوي، ٢٠٠٦م، صفحة ٧٤):

ألا من مبلغ فتیان فهم بما لاقیت عند رحي بطن

بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صححان

فأضربها بلادهش فخرت صريعاً لليدين والجران

وهكذا فالصعلوك يفارق قومه ويعارض عشيرته، وذلك لأنها تعمد إلى تكبيله بالعبودية، وهو يأبى الركون إلى ذلك الضيم؛ فيتوق إلى فضاء الحرية التي تتجلى فيها سجاياه التي جبل عليها، وسرت نسغاً يجري في عروقه؛ ولذلك فهو يلتمس له مضطرباً من الأرض ينأى به عما يعكر عليه تلك السجايا، ويشعره بحريته، وكرامته، وبقيه أسباب القلى، والبغض، ويستبدل بأهله، وعشيرته أهلاً وعشيرة من الحيوانات، والوحوش؛ لأن هذه المخلوقات - بنظره - لاتذيع سراً، ولاتخذل صديقاً، كما عبّر ذلك الشنفرى في لاميته المشهورة (يعقوب، ١٩٩٦م، صفحة ٥٨):

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقرر وشدت لطيات مطايا وأرحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحول

إن المتأمل في هذه الأبيات يجد توق الشاعر للانطلاق في فضاء الحرية، ويسعى الشاعر للابتعاد عن قومه ليفسح لنفسه مجالاً أرحب يمارس فيه حريته بعيداً عن أصناف الضغط والقهر " (جمال، ٢٠١٦م،



صفحة (٢٥٩).

إن الصورة الشعرية التي أبدعها الشنفرى في مطلع قصيدته تنبثق عن دلالات غاية في البراعة تمنح المتلقي إمكانية الإنفتاح على إفرزاتها الدلالية الكثيرة من خلال تكثيف شعري ابتعد عن إيقاعها بالتفاصيل التي قد تتحو بالتعبير منحى التقريرية النظرية ؛ ذلك أنه عمد الى قلب صورة الرحيل تماماً من كونه هو القائم به الى إيكاله لهم بوصفهم هم الراحلون ؛ لأنه جعل من يقيم صدور المطايا الى الرحيل هم ؛ وليس هو ، فبماذا يمكن أن تشي به براعة قلب الصورة تلك ؟

إنَّ إيكال الرحيل لقومه مع أنه هو الراحل إنما يدفع المتلقي للبحث عن سبب هذا الرحيل لا إلى صورته ، فالسبب هو تعامل هؤلاء القوم مع الشاعر، الأمر الذي دفعه بأن لا يرى بدأً من فراقهم ، ومن ثمَّ فإن الذي دفع الى الفراق هم وليس هو، وعليه يكونون هم الراحلين ، وليس هو، ومن هنا تتفرز دلالة جديدة تشي بالفضاء الذي يسعى إليه الشاعر، وهو فضاء يتمظهر بعزلته، ويبرز عدم الرضا عن القبيلة، ولذا فهو دائم الشكوى من هذا الواقع المتمثل بالظلم الذي يقض مضجعه، ويصيبه بالسياط النفسية اللاذعة التي تطفح بين الفينة والفينة في شعره، فنجد الشنفرى يستهل لاميته الكبيرة بالشكوى من بني أمه ، وأهله الى الحد الذي حدا به أن يهون عليه الإستعاضة عنهم بالذئاب والوحش الذي ألفتها وألفها ، كما يرى أن في هذه الأرض متسعاً لمن ضاق بالأهل، وسوء معاشرتهم فرأى أن يضرب في أطناها مبتعداً عنهم وهو موفور الكرامة سالماً من الأذى، وبذلك نلمس في المقطوعة فضائين : فضاءً مادياً متمثلاً في انطلاقه الصحراء الواسعة، وفضاءً معنوياً متمثلاً بسعيه إلى الانفكاك من القيود النفسية التي تمثل العبودية.

وهكذا نرى موقف الصعلوك من القبيلة مشوباً بهذا الشعور ؛ لأنه الشخصية المتمردة الثائرة على مجتمع القبيلة، وقد رأى في الخروج على فضاء القبيلة فرصة سانحة للظهور في فضاء أوسع تظهر فيه بطولته، ويستغلها أعظم استغلال إرضاء لنزعتة في تحقيق الذات، وإثبات قيم الرجولة والبطولة والشهامة وحب الآخر. لذلك أطلق الصعلوك جناحيه للظفر بالحرية والنجاة، ولعل قسوة الحياة في نظر الصعلوك ، واختلال نواميس المجتمع القبلي ، كانا من العوامل المضافة التي صيرته شديداً قوياً ، فما التمرد إلا وسيلة لرفع الظلم .

- فضاء الحياة وفضاء الموت

لقد أدرك الشاعر بسليقته كون " الحياة برمتها نصوصاً خرساء ؛ لأنها مكتوبة في الأشياء فهي موجودة بالقوة تخرجها الكلمات الى الوجود بالفعل على شكل إشارة نصية ... وكل ما يبقى هو التمثيل الذي يظهر في الإشارات اللفظية ما يتجلى به، ومن هنا يتحول الى خطاب هو علامة التواصل والتفاعل " (شقروش، ٢٠١٠م، صفحة ٩) تلك العلامة التي تشي بالتحول المستمر ضمن دائرة متناصلة ينفتح أحد طرفيها لينغلق على الآخر، وهكذا دواليك في ثنائية متحولة هي ثنائية الوعي الشعري والواقع، ومن هنا يكون مفهوم الحياة



ومفوم الموت عبارة عن فضاء سيميائي يوصل إلى دلالات أبعد من أن تدلّ على معناها المادي، إذ إنّ توقُّ الشاعر لفضاء الحرية لأنَّ الحرية في نظره تمثّل الحياة، وفي سبيل تحقيق هذا الطموح فإنّه يرى بالمقابل أنّ الموتَ يمثّلُ فضاءً من الحرية، إن هو مات في سبيل تحقيق ذلك الطموح، ومن هنا يتجلى اعتقاد الشاعر بأن الحياة زائلة أو مؤقتة ، وأن الدهر لايبقي على كائن حي ؛ ولذلك أكثر هؤلاء الشعراء من ذكر هذه الحقيقة في معظم قصائدهم ، واتخذوها حجة ، ودفاعاً عن مغامراتهم ، وفي التهوين على أنفسهم عند فقد الأهل والأصحاب ، وفي الغالب يذكرون عدم تمسكهم بالحياة والتشبث بها، وفي ذلك يقول تابط شراً (نورالدين، ٢٠١٣م، صفحة ٣٩):

وإني وإن عمّرتُ أعلمُ أنني سألقي سنانَ الموتِ يبرقُ أصلعاً

فهذه رؤية واقعية للحياة والموت تفرض معادلاً موضوعياً مضمراً في نفسه مفاده : إذا كانت الحياة مألها الى الموت ، وكان الموت ملازماً حتمياً للحياة فالأولى هو عدم التشبث بها ، ومن ثم تكون المغامرة والمخاطرة وركاب الصعاب هي المعادلات الموضوعية التي تنمهي وصورة الحياة الفانية، فإنّ الموت هنا هو فضاء آخر ينطلق منه إلى التحرر الأبدي من قيود العبودية، وفي ذلك يعبر أبو الطمحن القيني (نورالدين، ٢٠١٣م، صفحة ١١٤) عن ركوبه المخاطر، والأهوال دائماً ؛ لأن المكوث لايردُ المنية إذا نزلت حتى وإن اتخذ الحصون المنيعة ملجأ ، والقلاع المتينة مأوى فيقول (طريفي، ٢٠٠٤م، صفحة ٣٢٠) :

فلو كنتُ في ريمانَ تحرس بابَه أراجيلُ أحبوشٍ وأغضفُ ألفُ
إذاً لأتني حيث كنت منيتي يخبُّ بها هادٍ بأمرِي قائِفُ
فمن رهبةٍ آتي المتالفَ سادراً وأية أرضٍ ليس فيها متالفٌ؟

أما عروة بن الورد فيرى أن الموت لا ينبغي أن يخشاه الفارس؛ لأنه ليس أمراً طارئاً، أو جديداً، فالأسلاف جميعاً سبقوا إليه (محمد أ.، ١٩٩٨م، صفحة ٤٣):

تخوّفني ريبَ المنون وقد مضى لنا سلفٌ : قيسٌ معاً، وربيعُ.

وهكذا فالفضاء هو الثيمة المحورية التي تتمثل فيها رؤى الشعراء لنيل الغايات ؛ لأن النظر الى الحياة على هذه الشاكلة التي يرونها إنّ هي إلا دافع للأقدام والمغامرة والاستهانة بها ، على أن الإستهانة بالحياة ثمن لما يقابلها من مجد في تحقيق الغاية والهدف الأسمى المتمثل بالحرية، ومن ثم إشاعته في فضاء أكبر، وهو فضاء الانتماء الأوسع للانطلاق خارج القيود، والذي تتمظهر فيه سجايا الصعلوك، ومن هنا بثّ الصعاليك في أشعارهم كثيراً من السجايا والخصال الحميدة التي منها الكرم ، والشجاعة، والإقدام ، وقد زخرت دواوينهم بما يمثّل امتداداً لتوجهاتهم التي أطلقوها في إطار فضاء الحرية المنشود، فالموت في شعر الصعاليك يمثّل كما طرف المعادلة الموازي لجميع القيم ، فهو الدالة الكبرى على الشجاعة ، وقد أدرك الصعلوك الشاعر أن وجوده مرتبط بوجود قوته ومبادئه بالفعل ، فإن مات فسيكون في موته انبعاث لتلك القيم التي لم يكن له بد في أن



يرتقي طرفها الآخر، على طرفها الأول، ومن أجل ذلك مثل الموت لديه فضاء للقيم التي يريد تأكيدها.
- فضاء الفقر

من يتتبع شعر الصعاليك يجد أنّ الفقر يمثلُ ثيمة دلالية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بثيمة الحرية، والثيماتان يدوران في فلك الثيمة الأساسية، وهي ثيمة الفضاء، فعلى الرغم من أنّ الفقر هو القاسم المشترك للصعاليك جميعاً؛ وأنّ قصائدهم قد اصطبغت جميعاً بألوانه والإيحاء به، وعلى الرغم من ظهوره على شكل شكوى أو تبرم، إلاّ أنّه بالمقابل يمثلُ حافزاً لسلوك الصعلوك مسلك الانطلاق إلى واقع مغاير، فهو إذن فضاء يوصل إلى فضاء آخر، ونجد ذلك في قول السليك بن السلعة، وهو يدافع عن فكرة الغزو كونه مضطراً إليه، وليس مختاراً لسلوك سبيله، وقد قيل: بأن الفقر كان قد بلغ بالسليك مبلغاً كبيراً حد أنه لم يذر له في يده شيئاً مما يقتات به؛ لذا أغار على بني شيبان، وقد كان معه رجلان، ولما ظفر بالغنيمة أنشد قائلاً (الضناوي، ١٤١٥هـ، صفحة ٩٤):

مانلتها حتى تصعلكتُ حبةً وكدتُ لأسبابِ المنية أعرُفُ
وحتى رأيتُ الجوعَ بالصيفِ ضرتني إذا قمتُ تغشاني ظلالٌ فأسدفُ

ومثل ذلك ما أشار إليه أبو خراش وهو يرثي أخاه عروة، فقد اعتقد بأنه مات وهو يوجد بنفسه دفعاً للفقر والعوز؛ إذ قال (ديوان الهذليين، ٢٠١٢م، .، صفحة ١٥٨):

ولكنّه قد نازعتهُ مخامصٌ على أنه ذو مرةٍ صادقِ النهضِ

وهكذا هو ديدن الصعاليك في رؤيتهم لخلو اليد من المال، أو مايسد الرمق بحيث أنه إذا وقع في أيدي أعدائه تذكر أهله الفقراء، وعياله الجياح فاستنض نفسه، وشدهمته، وأسرع في عدوه طلباً للنجاة. وكلما ازداد ألم الصعاليك، وإحساسهم بالعنف بالحيث الذي فرض قسراً على حياتهم، وازنوا فقرهم بحال المنعمين من أفراد قبائلهم المترفين في النعمة، والمال اللذين يستأثرون بخيرهما، ولا يلتفتون إلى أخوانهم الفقراء، فازداد بموازنتهم تلك شعورهم بأنفة تمنعهم من التماس المساعدة من غيرهم، ولعل ذلك كله قد فرض على الصعاليك سلوك الإغارة والنهب والأخذ بالقوة، وفي ذلك دفع للإحساس بالضعف والحاجة إلى مد يد العون، ومن هنا اتخذ الصعلوك الإغارة والغزو شعاراً له، وهم يشتركون جميعاً في معالجتهم لدوافع الفقر، والإحساس بالظلم، وفقدان المساواة، ويتحدون في بواعث دفع الظلم والإنقاذ من الأثرياء (سويلم، ١٩٧٩م، صفحة ٢١).

إن رؤية الصعاليك للثراء بحسب ما تكشف من خلال العرض السابق للنصوص الصعلوكية مبنية لا على أساس كونه أساساً للسيادة والتعالي، بل كونه وسيلة يردون بها على منطق المجتمع الذي يرى فيه عاملاً لاستعباد الناس، وقد أصبحت هذه الرؤية هي فلسفة الصعاليك جُلهم، والتي استندت في نهاية المطاف إلى منهج حياتي عام أقره الصعاليك رافضين أن يكون الثراء هو معيار السيادة؛ إذ يقول عروة (محمد أ.،



مابالثرء يسوء كل مسوء مئر ولكن بالفعال يسوء
بل لا أكائر صاحبي في يسره وأصد إذ في عيشه تصريد
فإذا غنيت فإن جاري نيله من نائي وميسري معهود
وإذا افتقرت فلن أرى متخشعاً لأخي غني معروفه مكود

- فضاء الاغتراب

بعد الاغتراب معادلاً موضوعياً لتوق النفس للانعتاق من ريق القيود، وهو صورة أخرى من صور الانفتاح على الصحراء الواسعة الخالية من المقيدات، ويمكن أن نرى ذلك في تصوير الشنفرى لحالة الاغتراب التي كان يسعى إليها، وأن الغاتراب عنده حدث قبل أن يعتزم الانتقال الى مكان آخر، فالاغتراب هنا يمثل فضاءً أيضاً للانتقال إلى الفضاء المنشود، وإن مفارقة هؤلاء القوم ليس له وحشة في نفسه؛ لأن الوحشة حاصلة قبل أن يتركهم؛ وذلك لفقدان الألفة بين الطرفين، تلك الألفة التي وجد في الوحش خير تعويض لها، فالوحش هم الأهل الحقيقيون لما يتميزون به من صفات افتقر قومه الأولون إليها تجاهه؛ ولذا عبر عن الاستعاضة، والألفة الجديدة بقوله (نورالدين، ٢٠١٣م، صفحة ٣٢):

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقت زهلول وعرفاء جيال
هم الأهل لامستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بماجر يخذل
وكل أبي باسل غير أنني إذا عرضت أولى الطرائد أبسل

وقد ألمح الشاعر عن التوق إلى فضاء الاغتراب، كما أنه عبّر عن اغترابين: اغتراب مادي، وذلك برحيله الحقيقي عن أهله، واغتراب نفسي، وذلك باستشعاره الوحشة وهو في كنف أولئك الأهل، وهكذا نجد شعور الإغتراب متجسداً في مظهرين: الأول مفارقة القوم، والآخر ألفة قوم آخرين يختلفون بطبيعتهم، وتكوينهم عنه؛ إنها مفارقة الفرد لمجتمعه الى حيث لا يعيش البشر، فهو نزوح الى أعماق الصحراء البعيدة الواسعة التي تمثل فضاء الحرية؛ حيث يعيش الوحش، حتى وجد في الضواري أهلاً يستعويض بهم عن سوء الأهل من البشر، فيجد آنئذ الطمأنينة المفقودة (محمد إ.، ٢٠١٣م، صفحة ٢٢)

- فضاء الحب

من يتابع شعر الصعاليك يجد أن مفهوم الحب بمدلولاته الكثيرة يمثل فضاءً آخر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدلولات الحرية، فالتعلق بالمرأة لا يمثل قيلاً بقدر ما يمثل انعتاقاً للنفس في النزوح إلى تحقيق ذاتها من طريق اختيار المرأة القادرة على المشاركة في تحقيق ذات الشاعر، وقد حاول الشعر الصعلوكي أن يمنح للمرأة حضوراً تمثل بالعاطفة الخالصة، وربما أشبه غزل الصعاليك الى حد كبير عزل العذريين فتجد التعبير عن المعاني الروحية أكثر من تعبيرهم عن المعاني الحسية؛ " فلئن كان غزل بني عذرة قد اشتهر بالعفة فإن غزل



الصعاليك كان أسبق وأعف " (كفافي، ١٩٩٨م، صفحة ١٥)، وقد تقدم بأن المرأة كانت تحتل جانبا بارزاً في شعر الشعراء، وأنها هي الأكثر تأثيراً في التجربة الشعرية، وقد تظهر بأشكال مختلفة، فالشنفرى بنى إحدى قصائده على ذكر امرأة من دون أن يشير الى شخصيتها وماهيتها، ومن تكون هذه المرأة التي شغلت حيز تفكيره في هذه القصيدة، وهو الذي عرف عنه صورة أخرى في قصيدته المسماة بلامية العرب تلك التي جمع فيها أوصافاً ومعاني وفاق الناس جميعاً فيها إجابة وشجاعة وحقاً (غياض، ١٩٧٧م، صفحة ٦٩)؛ لكننا نلمح في هذه القصيدة شخصية عاطفية رقيقة، يقول الشنفرى (نورالدين، ٢٠١٣م، صفحة ٢٦):

ألا أمُّ عمروٍ أجمعتُ فاستنقَلتِ وماودَّعَ جيرانها إذ تولَّتِ
فواكبدا على أُميمةٍ بعدما طمعت فهبها نعمة العيش زلتِ

فقد جسد الشنفرى شعور المرارة والأسى واليأس من خلال عرض صورة هذه المرأة فبدأ بتصوير صدمة الفراق والفقد، وقد سحب ذلك الفقد على جميع مظاهر الحياة، والتي مثلها بالزفرة اللاهبة بقوله (نورالدين، ٢٠١٣م، صفحة ٢٦):

بعيني ما أمست فباتت فأصبحت فقضت أمورا فاستنقَلت فولتِ

فلعلَّ ذهابها يمتلئ نزوعاً نحو البحث في الأرض، مما يشي بمدلول الفضاء الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمسعى الشعراء الصعاليك في توقعهم إلى الحرية. وفي ذلك يقول صخر الغي (نورالدين، ٢٠١٣م، صفحة ٦٢):

إنِّي بدهُماءٍ وعزٍّ ما أجدُّ عاودني من حُبابها زُودُ
عاودني حُبُّها وقد شَحَطتْ صرفُ نواها فإنني كمدُ

ويقول قيس بن منقذ السلولي الخزاعي (ابن الحدادية):

أجدك أن نعم نأت أنت جازعٌ قد اقتربت لو أن ذلك نافعٌ؟
قد اقتربت لو أن في قرب دارها نوالاً؛ ولكن كل من صن مانعٌ

إنَّ هذه العواطف المتوهجة إنَّما تمثَّلُ فضاءً يتجلى فيه شعور الصعاليك بالحب، والذي تمثل المرأة أبرز رموزه، ولكنَّ الشاعر الصعلوك حاول أن يبدي الحذر من الانزلاق في مهاوي المجون، فقد كان تصويره للعواطف تصويراً نقياً بعيداً عن محاولة الانغماس في عالم المتعة واللذة كما كان يفعل أقرانه من الشعراء، والأهم من ذلك هو أن هذه العاطفة تتعدى حدود الطموح بالفوز بالمرأة الى الانفتاح على محاولة البوح عن هموم الشاعر وموقفه من مختلف جوانب الحياة والواقع ولذلك فمن الطبيعي أن يعدَّ الحب في هذا الشعر من أهم الفضاءات السيميائية التي توصل إلى مدلولات طموح الصعلوك، فقد مثل رمز المرأة منطلقاً للشعراء في محاولات البوح عن مكنونات نفوسهم والعبير عن رؤيتهم للواقع والحياة، فكان عاملاً أساسياً ومحورياً في بناء سيمياء الفضاء الشعري، وقد تجلَّى الطموح إلى الحرية من خلال هذه السيمياء، فكان فضاء الحب هو أحد



أبرز المنطلقات التي رسخت ذلك .

- فضاء الزمان وفضاء المكان

ليس بدعاً من القول بأنَّ الزمان والمكان يمثلان فضاءين شعريين لا يمكن لشاعر أن يستغني عنهما، وظاهرة علاقة الفضاءين لا يمكن تجاهلها، سواء أكانت على المستوى الواقعي ، أم على المستوى الفني، إذ لا يمكن أن نحس بالمكان من دون زمانه، ولا يمكن أن نشعر بالزمان من دون مكانه ، فالعنصران مرتبطان ببعضهما ، والمكان عنصر ثابت يمكن أن نراه ونلمسه بينما الزمان عنصر لا يرى ولا يلمس؛ وإنما نشعر بمروره من خلال الآثار التي يتركها على المكان وكل مايقع في نطاقه ، فعلى الرغم من التباين الكامل فيما بينهما إلا أنهما يتحدان ليكونا الفضاء المحيط بالأحداث والشخصيات التي تستمد منه الأفكار والرؤى لبناء المنطلقات والتصورات الحياتية وتجسيدها في داخل العمل الفني .

إنَّ الفضاء الشعري هو عبارة عن انصهار الزمان بالمكان، وذلك بفعل طبيعتهما المتداخلة وكيونتهما التي تتفاعل مع عناصر العمل الأدبي.

فالعلاقة التي تربط الزمان بالمكان علاقة تضافر لكونهما عنصرين مهمين في تجسيد التجربة الشعرية، فالفضاء يشتمل على الزمان والمكان، فعلى نطاق الزمن تسجل الأحداث ووقائعها ، وفي حيز المكان تتحرك الشخصوس ، وفي إطار اللغة ببُعديها المكاني والزمني يتألف النص السردي، وهذا على مستوى السرد عموماً ، أما ما يعنينا من هذا فهو ملامح هذه الجدلية في نطاق إطار الأداء القصصي بوصفه وظيفة شعرية من وظائف بناء الصورة . فإن الشاعر لاينقل المكان كما هو ؛ وإنما يحاول أن يفتت جزئياته ويفقدها تماسكها البنائي الطبيعي، ولايبقي إلا على صفاتها ، من ثمَّ يعمد الى تشكيله من جديد تشكيلاً لم يكن له من قبل، مضيفاً إليه تجربته الخاصة وقدراته الفنية في الخلق والإبداع ، وبهذا تتخلى الأمكنة عن طابعها الجغرافية والتاريخي منحاذاة الى حمل دلالات نفسية وشعرية لها جمالياتها ورموزها وارتباطاتها النفسية ، وما ذاك إلا لأن تلك الأمكنة استقرت في وعي الشاعر رمزاً للسعادة أو التعاسة، وإنما تتحول عبر الفعل الشعري الى حكاية للمخيلة، فالمكان في الشعر يتشكل عن طريق اللغة، وأن هذه اللغة هي الصانع للخيال الذي يسلكه بصورة يتجاوز فيها الواقع الى ما يمكن أن يتناقض معه ، ولا يحدث ذلك إلا باستعمال الشاعر لإمكانات اللغة التي تستطيع تحويل الجغرافية الطبيعية والواقعة الزمانية الى فنٍّ عابر لحدود الزمان والمكان، ولهذا " لجأ الشعراء الصعاليك الى الطبيعة يناجونها ويرتمون بين أحضانها لعلها تعوضهم عما فقدوه في حياتهم " (مبارك، ٢٠٠٦م، صفحة ١٢)، فحاولوا تشكيل الأمكنة بما ينسجم ومنظورهم الفكري والنفسي ، ولعلَّ أهم الأمكنة التي احتوت الأبعاد جميعاً والذي يسعى الشعر الصعلوكي الى بلوغها هي الصحراء ، فالصحراء قد تمثل الدلالة المنفتحة على كل الأبعاد والاحتمالات ، وإنما تختلف في دلالتها عند الشعراء الصعاليك عن غيرهم من الشعراء كونها تمثل لهم المكان المستقر الذي يمتثل للامستقر ، وهي بذلك تمثل علامة تواصلية مع حياة



ISSN:0258-1086

تحقق طموح الصعلوك في الحصول على مكان خارج حدود المكان الجغرافي ، مكان تكون ترسم حدوده المنفتحة على الحرية نفس الشاعر المتمردة على ذاتها وعلى مجتمعها ، ونستطيع أن نستشف ذلك في قراءة منظور الشعراء في وصف الصحراء، فمثلاً يقول عروة بن الورد (محمد أ.، ١٩٩٨م، صفحة ٧١) :

وغبراء مخشي رداها مخوفة أخوها بأسباب المنايا مغرر
قطعت بها شك الخلاج ولم أقل لخيابة هيابة كيف تأمر

فهذه رؤية اختلط فيها الخوف من المجهول مع الأمل بتحقيق الطموح بسبب توافر النفس المستعدة لذلك ، فقد استطاع الشاعر أن يوظف الصحراء التي يتجلى فيها المكان والزمان، فيبين أنه يسلك مكاناً محفوفاً بالمخاطر ، وأن الموت محيط به وفي هذا يبين مقدار طاقته وتحمله، ويتجلى فضاء المكان والزمان عن دلالة على المجهول بكل ما يحمله من خوف، و الإحساس بالإغتراب الذي يدفع الى البحث عن مجتمع بديل، فالصحراء تشكل علامة (سيمياء) غير تواصلية مع المجتمع، وذلك لأنهم أصلاً تمردوا على مجتمعهم فكان البديل لذلك المجتمع هو هذا الفضاء اللامتتهي (سيمياء الفضاء البديل)، والذي يعكس صورة اللامتتمي في ذات الشاعر بماتحمله هذه الصحراء من مخاوف ومخاطر وأهوال ، وهي بذلك تمثل مجموعة من النقائص ، حيث أنها مع كونها مليئة بالأخطار إلا أنها في ذات الوقت تمثل الملجأ الآمن فضلاً عن كونها تمثل فضاء الحرية المنشودة .



ISSN:0258-1086

النتائج

وفي ختام رحلة هذا البحث نحاول أن نسجل أهم النتائج التي توصل إليها ، وقد توزعت النتائج على ما يأتي :

- بيّن البحث أنّ مفهوم الفضاء ومدلولاته ومرادفاته في شعر الصعاليك هو مدلول سيئمياي بامتياز ، وبناء على ذلك حاول سلوك بعض متطلبات المنهج السيمياي .
- أشار البحث إلى أنّ للفضاء أبعاداً عديدة، منها : البعد الجغرافي ، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي، والبعد الفلسفي، وغير ذلك من الأبعاد التي تدلّ على التوق إلى الحرية .
- بيّن البحث أنّ لكل مضمون من مضامين الشعر فضاؤه الخاص، وأنّ لكلّ فضاء تضاداً مع فضاء آخر، فهناك فضاء الحياة مقابل فضاء الموت، وفضاء الغنى مقابل فضاء الفقر، وفضاء الحب مقابل فضاء الكره ، وهكذا ..
- توصل البحث إلى أنّ استعمالات الفضاء في شعر الصعاليك تصدّب في دلالة الحرية، فقد سعوا الى بناء مجتمع جديد تتوافر فيه عناصر العدالة الإجتماعية .
- أثبت البحث أنّ إشارات الشعر الصعلوكي إلى الفرار ليعني خوفاً من الموت وإنما يعني الانطلاق في الأرض الوسعة .
- مثلّ الفضاء في شعر الصعاليك سيمياء يمكن أن تهض بها دراسات مختلفة تستطيع استكشاف كثير من المدلولات غير المباشرة .
- إفاد الشعراء الصعاليك من الأدوات الفنية في بثّ مضامين الفضاء لإثبات مسعاهم الفكري في التحرر والانعتاق من العبودية .
- تكمن أهمية البحث في كونه النواة التي يمكن تنميتها للقيام بدراسات أوسع وأشمل في هذا الموضوع .

Funding

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Conflict of Interest

The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper.

Acknowledgments

The authors would like to extend their heartfelt thanks to Mustansiriyah University, College of Arts, for the moral support provided during the course of this research. The



encouragement and guidance offered by the institution greatly contributed to the successful completion of this study.

(١) المراجع

- (٢) ديوان الهذليين. (٢٠١٢ م.). دار الكتب والوثائق القومية: العراق.
- (٣) أ.د. فاضل بنيان. (٢٠١٨ م.). تلقي ظاهرة العبث في الشعر الجاهلي ، روافد النص وتشكيل المفاهيم (المجلد ١). المملكة الأردنية الهاشمية: دار دجلة.
- (٤) إبراهيم عبد الواحد محمد. (٢٠١٣ م.). القصة عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية. ام درمان: جامعة ام درمان.
- (٥) أحمد سويلم. (١٩٧٩ م.). شعرنا القديم رؤية عصرية. القاهرة: لمجلس الأعلى للثقافة.
- (٦) إخلص محمد عيدان. (٢٠١٧ م.). قراءة في الشعر الجاهلي في ضوء المناهج النقدية الحديثة،. بغداد: الموسوعة الثقافية.
- (٧) أسماء أبو بكر محمد. (١٩٩٨ م.). ديوان عروة بن الورد. لبنان_ بيروت: دار الكتب العلمية.
- (٨) بوخروف سمية. (١٤٣٢ هـ.). الشعراء الصعاليك من منظور أيديولوجي (رسالة ماجستير) . أم البواقي: كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، جامعة العربي بن مهدي.
- (٩) حرشاي جمال. (٢٠١٦ م.). الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجاً) (أطروحة دكتوراه). وهران: جامعة وهران.
- (١٠) خالد جعفر مبارك. (٢٠٠٦ م.). المكان في شعر الصعاليك والفتاك الى نهاية العصر الاموي. ديالى: جامعة ديالى.
- (١١) د. أميل بديع يعقوب. (١٩٩٦ م.). ديوان الشنفرى. بيروت: دار الكتاب العربي .



ISSN:0258-1086

- ١٢) د. جواد علي. (١٩٩٣ م). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*.
- ١٣) د. حسن جعفر نورالدين. (٢٠١٣ م). *موسوعة الشعراء الصعاليك، الصعلة والشعر الصعلوكي في الميزان*. لبنان: رشاد برس.
- ١٤) د. عبد العزيز صالح. (٢٠١٠ م). *تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة*. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ١٥) د. محسن غياض. (١٩٧٧ م). *القوائد المفردات التي لا مثل لها*. بيروت: بيروت.
- ١٦) د. محمد صابر عبيد. (٢٠١٢ م). *الفضاء الشعري الأدوني، سيمياء الدال وابتكار مفاتيح المعنى*. دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٧) د. محمد صابر عبيد. (٢٠١٢ م). *الفضاء الشعري الأدوني، سيمياء الدال وابتكار مفاتيح المعنى (المجلد ١)*. دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٨) د. محمد صابر عبيد. (د ت). *السيمائيات أو نظرية العلامات*. (عبد الرحمن بوعلي، المترجمون) دار الحوار للنشر والتوزيع: سوريا.
- ١٩) د. محمد نبيل طريفي. (٢٠٠٤ م). *ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي*. لبنان_ بيروت: دار الكتب العلمية، .
- ٢٠) د. يوسف خليف. (د ت). *الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي (المجلد ٣)*. القاهرة: دار المعارف.
- ٢١) سعدى الضناوي. (١٤١٥ هـ). *ديوان السليك بن عمير السعدي التميمي*. بغداد: دار الكتاب العربي.
- ٢٢) سعيد بنكراد. (٢٠١٣ م). *السيمائيات مفاهيمها وتطبيقاتها (المجلد ٣)*. سوريا: دار الحوار.
- ٢٣) شادية شقروش. (٢٠١٠ م). *سيمائية الخطاب الشعري، في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي (المجلد ١ ط)*. أريد، الاردن: عالم الكتب الحديثة.
- ٢٤) شوقي ضيف. (د ت). *تاريخ الأدب العربي*. القاهرة: دار المعارف.
- ٢٥) صلاح فضل. (٢٠٠٢ م). *مناهج النقد المعاصر*. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.



ISSN:0258-1086

- ٢٦ عبد الرحمن المصطاوي. (٢٠٠٦م). ديوان تأبط شرّاً . بيروت لبنان: دار المعرفة.
- ٢٧ عبدالمالك مرتاض. (٢٠١٠م). نظرية النص الأدبي (المجلد ١). الجزائر: دار هومة.
- ٢٨ غاستون باشلار. (١٩٨٧م). جماليات المكان. (غالب هلسا، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- ٢٩ غراهام كلارك. (٢٠٠٤م). الفضاء والزمن والإنسان. (عدنان حسن، المترجمون) سوريا: دار الحوار اللاذقية.
- ٣٠ فيصل الأحمر. (٢٠١٠م). معجم السيميائيات (المجلد ١). بيروت: لدار العربية للعلوم ناشرون.
- ٣١ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: طبع في دار صادر.
- ٣٢ مروج حسين عبدالله. (٢٠٢١م). مفهوم الفضاء في الخطاب النقدي. المجلة الثقافية الجزائرية.
- ٣٣ منذر ذيب كفاي كفاي. (١٩٩٨م). صورة المرأة في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر الأموي (رسالة ماجستير). الاردن: جامعة اليرموك.

References

1. Ibn Manzur. (n.d.). Lisan al-‘Arab. Beirut: Al-‘Alami Foundation for Publications.
2. Al-Ahmar, F. (2010). Dictionary of Semiotics (1st ed.). Beirut: Arab Scientific Publishers.
3. Bachelard, G. (1987). The Poetics of Space. Beirut: University Institution for Studies, Publishing, and Distribution. (Trans. Ghalib Halsal).



ISSN:0258-1086

4. Benkrad, S. (2012). Semiotics: Its Concepts and Applications (3rd ed.). Syria: Dar Al-Hiwar.
5. Banyan, F. (2018). Reception of the Phenomenon of Absurdity in Pre-Islamic Poetry: Text Tributaries and the Formation of Concepts (1st ed.). Jordan: Dar Dijlah.
6. Bukhrouf, S. (2012). The Vagabond Poets from an Ideological Perspective (Master's thesis). University of Larbi Ben M'hidi, Algeria.
7. Chandler, D. (2008). Semiotics: The Basics (1st ed.). Beirut: Arab Organization for Translation. (Trans. Talal Wahba).
8. Harshawi, J. (2016). Stylistic Features in the Poetry of the Vagabonds (al-Shanfara as a Model) (Doctoral dissertation). University of Oran, Faculty of Arts and Letters, Algeria.
9. Khalif, Y. (n.d.). The Vagabond Poets in the Pre-Islamic Era. Cairo: Dar Al-Ma'arif.
10. Dahl, J. (n.d.). Semiotics or the Theory of Signs. Syria: Dar Al-Hiwar. (Trans. Abdelrahman Bouali).
11. Sweilem, A. (1978). Our Ancient Poetry: A Modern Vision (1st ed.). Cairo: Supreme Council of Culture.
12. Shaqroush, Sh. (2010). Semiotics of Poetic Discourse in "Maqam al-Bouh" by Abdullah al-Ashi (1st ed.). Jordan: Al-'Alam al-Kutub al-Hadith.
13. Al-Shanfara, A. (1994). Diwan al-Shanfara. (Ed. Emil Badi' Ya'qub) (2nd ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.
14. Al-Shanqiti, M. (2012). Diwan al-Hudhaliyyin (4th ed.). Cairo: National Library and Archives of Egypt.



ISSN:0258-1086

15. Saleh, A. (2010). History of the Arabian Peninsula in Ancient Times. Cairo: Anglo–Egyptian Library.
16. Al–Dhāmin, H. (1990). Ten Minor Poets (1st ed.). Baghdad: University of Baghdad.
17. Dayf, Sh. (n.d.). History of Arabic Literature. Cairo: Dar al–Ma‘arif.
18. Tarifi, M. (2004). The Diwan of Thieves in the Pre–Islamic and Islamic Eras. Beirut: Dar al–Kutub al–‘Ilmiyya.
19. Tayfur, A. (1977). The Unique Poems Without Equal (1st ed.). Beirut–Paris: ‘Uwaydat Heritage.
20. Abdullah, M. (2021). The Concept of Space in Critical Discourse. Algeria: Algerian Cultural Journal.
21. ‘Ubayd, M. (2012). The Adonisian Poetic Space: Semiotics of the Signifier and the Innovation of Meaning Keys (1st ed.). Syria: Dar al–Zaman.
22. Ali, J. (1993). Al–Mufassal fi Tarikh al–‘Arab qabl al–Islam (2nd ed.). Beirut: Dar al–Saqi.
23. ‘Idan, A. (2017). A Reading in Pre–Islamic Poetry in the Light of Modern Critical Approaches (1st ed.). Baghdad: Al–Mawsu‘a al–Thaqafiyya.
24. Fadl, S. (2002). Contemporary Critical Methods (1st ed.). Cairo: Merit Publishing.
25. Kafafi, M. (1998). The Image of Women in the Poetry of Vagabonds and Thieves until the End of the Umayyad Era (Master’s thesis). Yarmouk University, Jordan.
26. Clark, G. (2004). Space, Time, and Man (1st ed.). Syria: Dar al–



ISSN:0258-1086

- Hiwar. (Trans. Adnan Hassan).
27. Mubarak, Kh. (2006). Place in the Poetry of Vagabonds and Assassins until the End of the Umayyad Era. Diyala University, Faculty of Education, Department of Arabic Language, Iraq.
 28. Muhammad, A. (2013). The Story in the Poetry of Vagabond Poets in the Jahiliyyah. Sudan: Omdurman University, Department of Arabic.
 29. Mortad, A. (2010). The Theory of the Literary Text (1st ed.). Algeria: Dar Houma.
 30. Al-Mustaṭawi, A. (2006). Diwan Ta'abbata Sharran (2nd ed.). Beirut: Dar al-Ma'rifa.
 31. Nour al-Din, H. (2013). Encyclopedia of Vagabond Poets: Vagabonds and Vagabond Poetry in Perspective. Beirut: Rachad Press.